

تشابه عقاب صاحب الجنتين مع عقاب أصحاب الباستان

وكما حصل أيضا لأصحاب الجنة الذين ذكروا في سورة "ن والقلم"، فإن الله تعالى حكى عنهم: أن لهم باستانا، وأن ذلك البستان فيه ثمار، فلما كان في ليلة من الليالي أقسموا وحلفوا أنهم سيصرمون نخيلهم وأشجارهم؛ يعني: ثمارها في الصباح، يصرمونها، وحلفوا على ذلك، ولم يستثنوا، لم يقولوا: إن شاء الله، فلما أصبحوا ففي تلك الليلة أرسل الله تعالى عليها ما أتلها { فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ } أصبحت محترقة مصرومة، ليس فيها شيء؛ وذلك لأنهم تماثلوا على أن يمنعوا المساكين، وقالوا: لا يدخل عليكم مسكين فيها { فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ } طاف عليها طائف من ربك، بعذاب من ربك، { فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ } فلما رأوها اعتقدوا أنهم ضالون، وقالوا: ليست هذه جنتنا، ولا هذا باستاننا، نحن مخطئون، ولكن بعد أن تحققوا أنها هي باستانهم، اعترفوا بأنهم مخطئون، وقالوا: { بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ } ورجعوا إلى ربهم، وقالوا: { عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ } . فأولئك عوقبوا لما أنهم قالوا: لا يدخلها عليكم مسكين، وهذا عوقب لما كفر وقال: ما أظن الساعة قائمة، وقال: إن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا، وافتخر على صاحبه وقال: { أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا } وأشرك بالله، وقال بعدما عوقب: { يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا } عاقبه الله بأن أتل عليه هذه الجنة، وهذا البستان أحوج ما كان إليه. وقد ضرب الله تعالى مثلا بمن كان له جنة، فأصابت أحوج ما يكون إليها. في قول الله تعالى: { أَيْدِيكُمْ أَلْزَمُوا لَهَا أَنْ تَكُونَ لَهَا جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ فَتَوْتِي أَكْلَهَا فَأُصَابَهَا بِرِيحٍ غَاصَّاتٍ فَجَارَتْ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ } . فإصابها ما أصابها، وله ذرية ضعفاء. { وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضَعْفَاءٌ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ } هذا مثل أيضا ضربه الله تعالى لمن أصيب في ماله أحوج ما كان إليه. وهكذا لا يغتبط الإنسان بما هو فيه وما وسع الله عليه، بل يعتبر بما حدث لمن كان قبلنا، ويقول: لو بقيت الدنيا لنا لما وصلت إلينا، لو كانت الدنيا تبقى لنا لبقيت لمن قبلنا؛ فلما أنهم فنوا فلا بد أننا أيضا نفنى وأنها تنتقل إلى من بعدنا، هكذا يعتبر المؤمن. قال الله في هذه القصة: { وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا هُنَالِكَ } أي: في ذلك المكان، كما قال بعضهم. { الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ } يعني: من تولاه الله تعالى فإن ولايته حق، ومن خذله فإنه هو المخدول. { الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا } أي: ثواب الله تعالى خير لمن آمن، وعمل صالحا، ولا يلقاها إلا الصابرون، وخير عاقبة؛ أي فضل الله، وما يعطيه، وما يخوله لعبده هو خير ثوابا، وخير عاقبة.